ميدل إيست آي || حيوات مسروقة: كل أسير فلسطيني محرّر يحمل ثِقل شعبٍ يرفض الخضوع

الأحد 19 أكتوبر 2025 09:20 م

كتبت سمية غنوشي أن وجوه الأسرى الفلسطينيين الخارجين من السجون الإسرائيلية تشبه أرواحًا عائدة من الظلال، في مشهدٍ يقابل ابتسامات الأسرى الإسرائيليين الذين أحاطتهم الكاميرات والأضواء. عشرات القنوات عرضت لحظات عناقهم وبثّت أسماءهم، بينما خرج نحو ألفي فلسطيني من زنازين ابتلعت أعوامهم بصمتٍ مطبق، بلا أضواء ولا ترحيب، بوجوهٍ هزيلة وأيدٍ مرتجفة وعيونٍ تحكي لغة الألم.

أشارت ميدل إيست آي إلى المفارقة الفادحة بين الاحتفاء الغربي بالأسرى الإسرائيليين والتجاهل شبه الكامل لقصص الفلسطينيين. كل

أسـير فلسـطيني خرج إلى عالمٍ تغيّر جـذريًا؛ بعضـهم عاد إلى ركامٍ بـدلاً من بيت، وإلى قبور أحبّـة بدل أحضانهم. كان الفرح ممتزجًا بالحزن، والانتصار مغموسًا بالمرارة.

تصوّر الكاتبة لحظة عناق المصوّر الصـحفي شادي أبو سِيدو لأطفاله بعد عشرين شهرًا من الأسر، وهو يبكي صارخًا: "قالوا لي إنكم متّم وإن غزة اختفت". أمّـا الأسـير علي السـيّس، فـاحتضن ابنته التي تركها طفلـة فعادت إليه شابـة، وهمس لها: "أنتِ وردتي". لكن آخرين، مثل هيثم سالم، خرجوا ليكتشفوا أن عائلاتهم قُتلت جميعًا تحت القصف. انهار وهو يردّد: "أولادي ماتوا".

تصف غنوشـي هؤلاء بأنهم عادوا من "المقبرة" لا من المعتقل. بعضـهم نُفي قسـرًا إلى خارج فلسـطين، وآخرون خرجوا بأجسادٍ هزيلـة بالكاد تقوى على الوقوف. في الوقت الذي جهّزت فيه إسـرائيل فرق دعم نفسي لأسراها العائدين الأصحاء، خرج الفلسطينيون من السجون بعظامٍ ناتئة وجلودٍ مشوّهة من الجوع والضرب. تؤكد الكاتبة أن هذا ليس صدفة، بل سياسة منهجية يشرف عليها الوزير اليميني إيتمار بن غفير، الذي جعل إذلال الأسرى الفلسطينيين جزءًا من مشروعه السياسي.

وثّقت منظمات حقوقيـة والأمم المتحـدة، كما تقول، نمطًا من التعذيب المنظّم داخل السـجون الإسـرائيلية: ضـرب مبرح، صدمات كهربائية، حرمان من النوم، اعتـداءات جنسـية، وحرق بالسـجائر والمواد الكيميائية. الأجساد التي خرجت تحمل هذه القسوة مكتوبة على جلدها. إحدى الأمهات لم تتعرّف إلى ابنها حتى نادوه باسمه، فصرخت باكية: "يا حمزة!" بعدما غيّرت عامان من العذاب ملامحه بالكامل.

تسـتعرض الكاتبـة مأساة الطبيب عـدنان البرش، الجرّاح الـذي اختُطف من مستشـفى العودة ومات تحت التعذيب في سـجن "سدي تيمان". وتضـيف أن الاحتجاجات في إسـرائيل لم تكن ضد الجريمة، بل دفاعًا عن حقّ الجنود في "معاقبة الأسـرى"، في مشـهد يلخّص انحدارًا أخلاقيًا فادحًا.

تؤكد غنوشي أن إسرائيل ما زالت تحتجز جثامين مئات الفلسطينيين، وتساوم على إعادة جثمان مقابل آخر في "صفقات" تُحوّل الموت نفسه إلى أداة ابتزاز. كل جسد محتجز يعني عائلة محرومة من الحداد، وكل تبادل جثامين يحوّل الإنسان إلى رقم في معادلة سياسية باردة.

تصف السـجون الإسـرائيلية بأنهـا "مقابر للأحياء"، حيث لا يُسـمح بالـدواء ولا بالنور، وحيث تلـد النساء مكبّلات، ويُعـذَّب الأطباء والصـحفيون، ويُحتجز الأطفال بلا تهم. أكثر من 9100 فلسطيني ما زالوا وراء القضبان، بينهم 52 امرأة وقرابة 400 طفل، معظمهم محتجزون بلا محاكمة تحت ما يسمى "الاعتقال الإداري".

وترى الكاتبـة أن السـجن ليس مكانًا فحسب، بل حالـة تلاحق الفلسـطيني منـذ ولادته. كل بيت فلسـطيني يعرف طرقات الجنود في الفجر، والاقتحـام، والاختفاء المفاجئ لأحـد أفراده. وحتى من يُفرج عنهم يعيشون أسـرًا من نوعٍ آخر: حصارٌ دائم، خوفٌ من الاعتقال مجـددًا، وحرية مشروطة بثمنٍ لا ينتهي.

تنتقد غنوشي ازدواجية اللغة الغربية: الإسرائيلي "رهينة"، والفلسطيني "سجين". الكلمة الأولى تستدرّ التعاطف، والثانية الإدانة. لكن الحقيقة، كما تقول، أن كل فلسطيني "رهينة" لاحتلالٍ يحاصر الأرض والجسد والوقت.

وترى أن العـالم متواطئ في هـذا الصـمت؛ يبكي على تسـعة عشـر إسـرائيليًا تحت الأنقـاض، بينمـا يغضّ الطرف عن أكثر من عشـرة آلاف فلسطيني مدفونين في الركام نفسه. هذا الاختلال العددي، في رأيها، يجسّد قرنًا من نزع الإنسانية عن شعبٍ بأكمله.

تربط الكاتبـة بين السـجن الفلسـطيني وتجارب مقاومـة الاسـتعمار في العالم: مانديلا في جنوب أفريقيا، وبوبي ساندز في إيرلندا، ومناضـلو الجزائر وكينيا. السجن في نظرها ليس مجرد عقوبة، بل مختبر للحرية، ومحراب يتكوّن فيه وعي الأمم المقهورة.

تختم غنوشـي بأن الأسـرى الذين خرجوا هذا الأسـبوع ليسوا أفرادًا، بل خيوطًا حيّة في نسيج مقاومةٍ تمتد من التاريخ الفلسطيني إلى حركات التحرر في العالم. إنهم يحملون في أجسادهم الهزيلة نورًا لا يُطفأ — النور نفسه الذي أضاء طريق كل من قاوم الظلم يومًا. لأن قصة الأسير، كما تقول، ليست عن السجن، بل عن الإنسان الذي يرفض أن يُكسر.

https://www.middleeasteye.net/opinion/story-palestinian-prisoners-people-who-refuse-to-submit

مقالات متعلقة

(ويديو) لفيحي فرار قلاطإو سهد ةيلمع يف رخآ ةباصإو ينويهص نطوتسم لتقم

مقتل مستوطن صهيوني وإصابة آخر في عملية دهس وإطلاق نار في حيفا (فيديو)

بيبأ لت نييثوحلا فادهتساو تورديس ىلع ةينيطسلفلا ةمواقملا خيراوص | | دهاش

شاهد | | صواريخ المقاومة الفلسطينية على سديروت واستهداف الحوثيين تل أبيب

هتميخ يف ادًجاس ءادهشلا ةلافاق يف قيلحتلا ىلإ يايسلا لمعلا ةباحر ن م ..ليودربلا حلاص

صلاح البردويل.. من رحابة العمل السياسي إلى التحليق في قافلة الشهداء ساجدًا في خيمته

نميلا ن م خوراصب بيبأ لت يف "نوبروج ن ب" راطم فادهتسا ..ةعاس 48 لالخ ةثلاثلا ةرملل

للمرة الثالثة خلال 48 ساعة.. استهداف مطار "بن جوريون" في تل أبيب بصاروخ من اليمن

- التكنولوجيا
- دعوة
- التنمية البشرية
- الأسرة
- ميديا

- الأخبار
- المقالات
- تقارير
- الرياضة
- تراث
- حقوق وحريات

-

-
-
-
-
-

إشترك أدخل بريدك الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة لموقع نافذة مصر 2025 ©